الثورة
الاربعاء 2 ذو الحجه 1433هـ 17 أكتوبر 2012م العدد (17500)

علي عنتر.. من المغارة إلى الجبهة

مسعد ثورة ورمز كفاح شعب كادح

إعداد/علي الشرجي

● فـي يوم ربيعي من عام١٩٣٧ م وفي قمة أحد جبال الضالع الشاهقة التي تربض عند سـفحها قرية صغيرة محدودة المنازل البسيطة يطلق عليها (الخديبة).

هناك في إحدى مغارات الجبل المطل على (سيلة حردبة) لاذت امـرأة بالفرار محاولة اخفاء آلام الـولادة وعلى تربة تلك المغارة الطاهرة وضعت الأم (فاطمة) مولودها الثاني تدثره بحزنها وآلامها وعطفهـا اللامحدود ولم تدرك حينهـا ان هذا المولود المعذب في ذلك الظرف البائس من ولادته سـيصبح قائدا ثوريا فذا.. يمتشق سـيفه ضد واقع البؤس والتخلف والجهل ويسـهم بدور فعال في تغييره.

كما لم تـدرك تلك الام ان تلك المغارة سـتصبح يوما ملجأً له ولمن اسموهم بالذئاب الحمر.

لم تكن طفولة علي احمد ناصر (عنتر) مع اخوانه الخمسـة في محيط اسـرة فلاحية معدمة لا تمتلك سوى قوة عملها التي لا تجد مجالا لبيعهـا ومجموعة من الماعز وحمارين في واقع فرض عليه المسـتعمر الموت البطيء في سـراديب الجهل والتخلف.. كانت حبيبات الدوم واوراق الحدل »أي الحلص« هي الوجبات الرئيسية التـي كان يقتاتها في الوقت الـذي لا يحصل عليها بانتظام.. فقد لظـروف البؤس والمرض أربعـة من اخوانه في سـن مبكرة من حياتهم.

لقد كانت الطبيعة قاسـية والواقع الاجتماعـي كذلك وتفاعلها انجب فتى أشـد قسـاوة وصلابة منهما عشـق الموت في سبيل التغيير الاجتماعي.

نمـا علي عنتر طفـلا متميزا عن اقرانه وظهرت عليه السـمات القيادية في سن مبكرة.

ففـي الرابعة عشـرة من عمره وعلـى إثر دوريـات الاحتلال البريطانـي التي كانت تخترق الطريـق المحاذية لقريته قام بجمع زملائه في القرية وقسـمهم إلى فريقين طالبا منهم صنع اسـلحة خشبية ليقوم بلعب عسكرية تدريبية يواجه بها هذه الدوريات.

ومثلمـا حرم علي عنتر من أمور كثيـرة في طفولته حرم ايضا مـن حق التعليم ولم يتعلم سـوى في معلامـة تركها بعد ان حفظ القرآن فـي وقت مبكر ليدخل واقع الحياة والعمل الشـاق.. عمل راعيـا لاغنـام والده ثم عمل عند احد التجـار حيث كان يجلب له البضاعـة من لحج وعـدن إلى منطقة الضالع علـى ظهر الحمير مقابل اجر زهيد.

تشكلت شخصية علي عنتر القتالية الثورية المعادية للاستعمار والواقـع المتخلـف متأثـرا بشـخصية المناضل مسـاعد علي قائـد انتفاضـة١٩٥٦ م التاريخية في الضالـع حيث قام بتجميع المواطنيـن في المناطق المجاورة وتحريضهـم وعمل على تنظيم لقاءات بهم ودفعهم للقيام بالانتفاضات والتدريب على الاسـلحة.. حينهـا كان علي احمد ناصر عنتر اصغرهم سـنا.. لكنه أكثرهم تحمسا وشجاعة وذكاء حتى اطلق عليه المناضل الشهيد مساعد علي اسم عنتر نسبة إلى الفارس عنتر بن شداد الاسطورة العربية ومن يومها لصق عنتر به.

كان لانتفاضـة١٩٥٦ م اثرهـا البالغ في تفتـق الحس الوطني لدى الصبـي عنتر، إذ منحتـه الظروف حينذاك حق المشـاركة مع مجموعة فدائية مسـلحة رغـم أن علي عنتر كان ولوعا بمعرفة اسـتخدام كل جديد في السـلاح وكان يتردد علـى ثكنات جنود الامام لمعرفة استخدام الاسلحة الثقيلة وكان له ذلك.

وذات مـرة قصفت الطائـرات البريطانية موقعـا لجنود الامام فلاذوا بالفرار تاركين موقعا لرشـاش احتله علي عنتر بشـجاعة واقـدام وراح يكافح ضد الطيران البريطاني.. وتقديرا لشـجاعته تلك منحه نائب الامام السياغي شهادة الشجاعة والبطولة.

لقـد ذاع صيت علي عنتـر كفدائي محنك وشـجاع مما جعل عناصر الاستعمار تسـعى بمختلف الاساليب للقضاء عليه وعلى رفاقـه الثوار ظنا منهم ان ذلك سـيقود إلى القضاء على ما كانوا يسـمونه آنذاك بالتمـرد وحاولوا إحباط عزيمـة عنتر وإثناءه عن مواصلة عمله الفدائي من خلال ممارسة صنوف التعذيب والتنكيل بأفراد اسـرته فقد عملوا على اعتقال والده احمد ناصر اكثر من مرة طالبين منه تسـليم عنتر اليهم وإقصاءه عن العمل الفدائي إلا انـه كان يقول لهـم ابني اختار هذا الطريق ولن اسـتطيع ابعاده عنها.

وامام صمود افراد الاسـرة الذين هددوا بالقتل من قبل الامير في الضالع وامام يقظة وجسـارة عنتر ورفضه الاستسـلام باءت محاولات المستعمرين بالفشل واستمر في نضاله الوطني الفدائي إلى ان كانت معركة جبل جحاف في سنة١٩٥٧ م التي مثلت نقطة المواجهة الفعلية بين الفدائيين ممن اسموهم آنذاك بـ(الشيوعيين) الذين سيطروا على جبل جحاف ١٤ يوما وبين قوات الاحتلال التي استخدمت شـتى انواع الاسـلحة الثقيلة مـن الطيـران والمدفعية ولم ينسـحب الفدائيون يومها مـن الجبـل إلا بعد نفاد ذخائرهـم وانقطـاع التعزيـزات التي كانت تصلهم من قعطبة.

صغر سـنه – كمنت لدوريـة بريطانيـة في منطقـة الضالع حيث استمرت الاشتباكات لمـدة اربعـة ايـام متتالية انسحب بعدها المقاومـون بحكم عدم التكافؤ إلا عنتر الذي بقي في مكانه رغم إلحاح رفاقه عليه بترك موقعه خوفا عليه وعندما افرغ آخر طلقة وتمكن من اللحاق برفاقه انتقد بشدة، وقال مدافعا عن نفسـه : كيف أنسحب وانا عادنا ما اشـتفيت وهذه اول مرة يتحقـق فيهـا املي الذي تمنيته من زمان فـي أن تكون لي بندقية اقاتل بها الاستعمار وعملاءه.

لقد مثلت انتفاضة١٩٥٦ م مصدر رعب للمستعمرين وعملائهم الامر الذي جعلهم يحشـدون كل قواهم لمطاردة المنتفضين مما اضطر رجـال الانتفاضة لمغـادرة الضالع والجليلـة إلى مدينة قعطبـة والتي جعلوا منهـا مؤخرة انطلاق لعملياتهم العسـكرية ضد المسـتعمرين وعملائهم وكان لعلي عنتـر دور فاعل في تلك الانطلاقات.

وذات مـرة قام على رأس فرقة فدائيـة بمهاجمة موقع الضابط السياسـي البريطاني في منطقة الصفراء واظهر خلالها شجاعة نادرة وموهبة قيادية فذة اذهلت كل رفاقه حين رفض ان يتم اطلاق النار على المواقع من بعد فاقترب بهم إلى نوافذ المبنى وتمكن مع رفاقه من إصابة من كان هناك من المسـتعمرين اصابة مباشـرة ونفـذوا مهمتهم وانسـحبوا بنجـاح.. حينها قال الشـهيد لبوزة مفاخـرا: لو اننا نملك مائة من امثال عنتر لدمرنا كل معسـكرات بريطانيا في اليمن.

وبموجب الاتفاق بين سـلطات الاسـتعمار البريطاني وسلطات الامام منع علي عنتر ورفاقه من اسـتخدام قعطبة كقاعدة انطلاق لمواصلة عملهم الفدائي كما تعرضوا للملاحقات والمطاردات من قبل حكم الامامة في الشـمال ورقابة ومطاردة سـلطات الاحتلال في الجنوب فتعقدت حينها عملية مواصلة النضال بالنسـبة لعنتر ورفاقه اضافة إلى انه كان محكوماً عليه بالموت من قبل سـلطات الاحتلال ولا تقل خطورة من ذلك مسألة بقائه في قعطبة.

فقرر علي عنتر يومها السـفر إلى الكويت في نهاية١٩٥٨ م وقد مثلـت حياة المهجر نقطـة تحول ثورية تقدمية بالنسـبة له، وقبل وصولـه إلى الكويت كان مناضلو حركة القوميين العرب البارزون المتواجـدون في الكويت يعرفون عنه مسـبقا وعن نضاله الثوري المعادي للاستعمار وبالذات الدكتور احمد الخطيب الذي طرح له ورفيقه المناضل محمد احمد البيشي فكرة الانضمام إلى النضال السياسـي المنظم في إطار حركة القوميين العرب الذي وجد في برنامجها فكرة التحرر الوطني.

لقـد كان عنتر ينطلق في فهمـه لبرنامج الحركة من مفهوم حل المهام الثورية الخاصة باليمن المتمثلة بالنضال المسلح والمنظم ضد الاستعمار البريطاني وعملائه والنضال الراسخ ضد التجزئة ومن اجل وحدة الوطن اليمني.

وتحت ظروف الفقر والمطلب الملح لكسـب لقمة العيش امتهن علـي عنتر أعمالاً شـاقة كبيرة، فقد عمل حمالاً وعاملاً في شـق الطرقات وشوكي دار وقد ساعدته تلك الاعمال المتعددة بالتعرف على قطاع واسـع من العمال اليمنيين فـي الكويت والاقتراب من همومهم ومعاناتهـم وكذا افكارهم واتجاهاتهم السياسـية حيث عمل على تشـكيل وتنظيم خلايا سرية وبالذات من العناصر التي كانت تتحلى بالشـجاعة والوفاء والاخلاص لفكرة العودة للنضال التحرري في الوطن.

وكثيـر من تلك العناصـر التي نظمها عنتر عـادت إلى الوطن وتبنت فكرة الكفاح المسـلح ضد المستعمرين ومن ضمنهم مثلا: قائد صالح حسين الشـنفرة، وحنش ثابت سفيان، وصالح أحمد مقبل، وعبيد حسين، وقائد عامر وغيرهم.

ان نشـاط عنتر السياسي ورفاقه كان يتم بسرية تامة وبحذر شـديد بحكم طبيعـة النظام الاسـتعماري البريطاني الذي كان يحكم الكويت في تلك الفترة كونه كان لا يسـمح بممارسـة أي نشـاط معاد للاستعمار وحتى التجمعات كانت محصورة إلا أن عنتر كان يخًتار مواقع التجمع غير المشـكوك فيها مثل »مخفر شـرطة الدوقة«، وكذا تنظيم التجمعات فـي أماكن أخرى تحت مبررات مناقشة هموم وقضايا العمال اليمنيين ومشاكل أسرهم في الوطن وتبادل المساعدات المختلفة.

وعمـل على تنظيم دراسـة مسـائية منتظمة لغالبيـة العمال اليمنيين في الكويت وبالذات أعضاء الخلايا السرية.

كمـا عمل على تأسـيس صندوق مالي لجمـع التبرعات من العمال اليمنيين والاشـتراكات الإلزامية لأعضاء الحركة لغرض الإعداد والتهيئة للثورة المسلحة.

وفي عـام١٩٦١ م غادر علي عنتر الكويت متوجها نحو اليمن للنضـال في الداخـل بعد أن حمل الكثير مـن خبرات النضال الثوري الشـعبي في مصر والجزائر، كما حمـل قيمة البندقية والذخيرة وفـي جيبه توصية حركة القوميـين العرب للعمل في الداخـل بعد أن اتفق مع قيادة الحركة على برنامج النضال المنظم والمنسـق مـع فروع الحركة فـي اليمن وكذا الإعداد السياسـي والجماهيري للثورة المسلحة وكـي لا يكتشـف أمـر مغادرتـه الكويت قرر مع ١١ عضـوا ورفيقا له الخـروج ليلا عبر الحدود السـعودية وقد تم ذلك بالفعل على متن سيارة محملة بالأغنام لأن عنتر وجد في ذلك وسـيلة لإخفائه ورفاقه عن عيون حراس الحدود السـعودية كونهم لم تكن لديهم جوازات تسـمح لهم بالمرور عبر الأراضي السعودية.

وقال عنتـر يومها معلقا على الرحلة »آه.. إن هذه هي أسـعد رحلة، فرائحة الاغنـام أعادتني إلى أيـام الطفولة في بيتنا الصغير وإلى تلك الجبال والشعاب التي تربيت فيها راعيا للأغنام«.

وبمجرد وصـول علي عنتـر ورفاق رحلته إلـى أراضي السـعودية منطقة »لقسـومة« اعتقلوا واقتيـدوا إلى مخفر الشـرطة واتهمـوا بأنهم كفرة ومشـركون أرسـلهم »قاسـم العـراق« لتفجير المنشـآت النفطيـة فـي السعودية.

وكـون عنتر كان حريصا على العودة إلـى أرض الوطن بأي شـكل من الأشكال وبعد سماعه التهم الموجهة إليهم دعا رفاقه إلى الصلاة الجماعية وانتحل شخصية إمام في الوقت الذي كان جسـده عارياً باسـتثناء فوطة قصيرة إلى أعلى ركبتيه وحينها دخل أحد المسـؤولين في السجن قائلا: »هه شوف هذا الكافر يصلي بأصحابه جماعة« فقطـع عنتر الصلاة قائلا له »يا أخي ماشـي عليك.. خليني أصلي بأصحابي« وبعد أكثر من أسبوع نقل ورفاقه إلى سـجن الملز وهناك حيث حكم عليهم بالسـجن لمدة شهر لاقوا أشد أنواع التعذيب.

وبعد خروجهم من السجن وبعد رحلة شاقة استمرت ٦٠ يوما وصلـوا إلى صنعاء وهنا التقى عنتر ببعـض العناصر الوطنية فعمل على شـراء أسلحة وذخائر من المبالغ المتبقية معهم وقبل أن يصـل إلى منطقة قعطبة كان عملاء السـلطات البريطانية قد ابلغوا عن خروجه من الكويت على رأس فرقة لغرض ما اسـموه بالأعمال التخريبية بالضالع.

وعند وصوله إلى قعطبة سـمحت السلطات البريطانية لجميع رفاقه بالعودة إلى قراهم باستثناء عنتر الذي حرموا عليه العودة فكان حينها يتسلل ليلا في الدخول إلى مناطق الضالع والالتقاء بعدد من العناصر الوطنية في الشعيب وخلة والمناطق المجاورة لهما لغرض تنظيمهم سياسيا وقد اقترن هذا بعمل فدائي حاول مع خمسـة مـن رفاقه عدة مـرات اغتيال الضابط السياسـي البريطاني في الضالع.

وفي أحد أيام خريف١٩٦١ م وأثناء تواجده السري في منطقة الضالع وحينما كان عائـدا بعد زيارته لأمه صادف في الطريق وبالقرب من قريـة »القرين « دورية بريطانيـة متجهة إلى مدينة الضالـع فقال حينها وبسـرور الفدائي : صدفـة خير من ألف ميعاد.. ومن مسـافة ٤٠٠ مترٍ أطلق النار على سيارة الحراسة البريطانيـة قتل فيها ضابطـاً وأصاب جنديين وعلى إثر هذه الحادثة اسـتدعى أمير الضالع والضابط السياسي البريطاني شـيوخ القبائل يهددهم بالقتل لعدم اسـتطاعتهم ضبط قبائلهم، فخاطبـه الشـيوخ: بأن جميـع الهاربين عادوا باسـتثناء عنتر فأضاف الأمير قائلا: أشك أنه هو الذي اطلق النار على الدورية وطلـب من أهل قريتـه أن يعيدوه دون قيد أو شـرط، وبرغم أن الأمير كان يهدف من وراء ذلك إلى اكتسـاب عنتر ومن ثم رفاقه إلى جانبه إلا أن عنتر اليقظ دوما ساوره الشك من أن تلك عملية مدبرة لاغتياله أو اعتقاله فجند ٢٥ عنصرا من الاشـداء يتولون مهمة قتل الأمير وجنوده إذا ما أقدم على فعل غادر.

وفي ظل هدنة مشوبة بالحذر بين عنتر والأمير استطاع خلال هذه الفتـرة من الذهاب إلى عـدن لنقل رسـالة الدكتور أحمد الخطيب إلى سـيف الضالعي الذي كلفه مسـؤولا أول عن فرع حركة القوميـين العرب في منطقة الضالـع وعلى إثرها مارس عنتر نشـاطه السياسي الواسع في تشكيل خلايا سرية للحركة واسـتقطاب عدد من العناصر العسـكرية بما فيهم بعض جنود الأميـر والضابـط السياسـي البريطاني وهذا مـا جعله هدفا للمراقبة والمطاردة الشـديدتين مما اضطره ورفاقه إلى تدارس الموقـف فتم الاتفاق على بنـاء دكان بالقرب من موقع المحكمة مقر عمل شـيخ منطقة الجليلة بهدف تخفيف حدة المراقبة وهذا الدكان سـهل لعنتر الحركة والتنقل بين قرى المنطقة وبين عدن وردفان وقعطبة تحت مبرر المتاجرة وجلب البضائع وبيعها.

وهذا بدوره سـهل تنظيم فرع الحركة في الضالع مع فروعها في عـدن وردفان وقعطبـة وغيرها، وفي إطـار تضليل وايهام سـلطان الاحتلال أثنـاء تنقله بين القرى لغرض تكثيف نشـاط الحركة واسـتقطاب عناصر جديدة وجمـع التبرعات، كان يبرر ذلـك من أنه يذهب لاسـتعادة »الديون« الوهميـة كما أتخذ من الدكان موقعا للالتقاء بقيادتي الحركة واستلام وتوزيع الأسلحة، وحـول ذلك كتب عنتر في إحـدى مذكراتـه »كان معنا دكاناً.. بالنهـار أبيع التمر و»الكار« وفي الليـل اجتماعات.. في النهار توزيع تمر وفي الليل توزيع أسلحة«.

عنـد انفجار ثـورة ٢٦ سـبتمبر١٩٦٢ م في شـمال الوطن واشتداد هجمات الثورة المضادة في محاولة يائسة لوأد الثورة الوليدة في مهدمها برزت الضرورة الملحة في الاسـهام للدفاع عـن الثورة أمام عنتر وزملائه باعتبارها أهم وأنبل مهمة نضالية تقع على عاتق المناضلين الشرفاء في كل أرجاء الوطن اليمني.

وإزاء هذه المستجدات الجديدة عقد أبرز قادة حركة القوميين العرب في الضالع اجتماعهم برئاسـة عنتر في منزل المناضل علي شائع هادي بقرية الجليلة حيث تم فيه تدارس خطة الاسهام المباشر في الدفاع عن ثورة ٢٦ سبتمبر بكل الامكانيات المتاحة وبمختلف الطرق.

وعقب الاجتماع تحرك عدد كبير من الفدائيين للمشـاركة في الدفاع عـن الجمهورية الفتية وتحت قيـادة عنتر توجه مجاميع المقاتلين بأسلحتهم إلى خطوط المواجهة ضد العناصر الملكية التي كانت تدعمها السلطات الاسـتعمارية فانضموا إلى جانب إخوانهم من الجيش الجمهوري في معارك ضارية كان أشهرها معركة »الجميمة« بالقرب من منطقة قعطبة وفي أثناء عملية الدفاع عن ثورة سـبتمبر قام عنتر بإحباط وإفشال تهريب مجموعة من الدبابـات من قعطبة إلى الضالع وقد أبلغـه ذلك أحد العناصر الوطنية القريبة من الضابط السياسي البريطاني والأمير فأسرع عنتر ومعه المجعلي لإشعار عامل قعطبة بذلك والذي بدوره سبق وأن أشـعر زيفا أن رجال الدبابات سيتحركون الساعة التاسعة صباحا إلى تعز وحينها زودهما بالغام قاموا بزراعتها في طريق الدبابات لكنها لم تتحرك بعد أن انكشفت الخطة وتم الابلاغ عن عنتر من قبل جواسـيس الأمير الذي استدعاه وهدده بالذبح ثم قـرأ عليه تقريرا مفصلا حول زرعة الألغـام في طريق الدبابات فأجابه عنتر بالقول »إذا جاء فاسق بنبأ فتبينوهش«.

إن انتصار ثورة ٢٦ سـبتمبر قد أفزع السـلطات البريطانية وعملاءها والتي لجأت إلى اتباع اسـاليب مختلفة لمنع وانتشار المد الثوري إلـى جنوب الوطن وفرضت رقابة صارمة ومطاردة شـديدة ضد الثوريين ونشـاطهم الثوري فارضة عليهم أقصى العقوبات.

فكان عنتر يضطر إلى ممارسـة أغلب نشاطه ليلا فبعد صلاة العشاء أمام شـيخ الجليلة يتحرك إلى قعطة وينفذ مهامه ويعود ليلا قبل صلاة الفجر التي يؤديها أمام شيخ الجليلة أيضا وذلك لإيهامه أنه لا يبارح دكانه الصغير.

وفـي قعطبة كان يلتقـي برفاقه من قياديي حركـة القوميين العـرب الذين يبلغونه مـن خلال رفاقه في منطقـة الضالع عن تفاصيـل الحـوارات الجارية بين قيـادة الحركـة والتنظيمات السياسـية الأخرى والتي توجت بمؤتمـر القوى الوطنية في٢٤ فبرايـر١٩٦٣ م الذي حدد اتفاقـاً حول توحيد جميع تلك القوى في جبهة موحدة والتي بعد حوار طويل انضمت إليها وابتداء من اغسطس١٩٦٣ م ستة تنظيمات سياسية وطنية سرية تبنت فكرة الكفاح المسلح إلى جانب حركة القوميين العرب.

المرجع: كتاب علي عنتر في رحاب الخالدين

لبوزة .. ردفان .. 14 أكتوبر

قصة أول شهيد.. أول شرارة

> بعد ستة أشهر من الاستبسال دفاعاً عن ثورة ٢٦ سبتمبر في أكثر من منطقة من خولان إلى المحابشة عاد البطل الثائر راجح غالب لبوزة ومعه العشرات من رجال الضالع وردفان وحالمين.

وكانت عودتهم إلى ردفان في نهاية شهر سبتمبر ١٩٦٣م وفور عودتهم طلبت السلطات السياسية حينذاك باسم أمير إمارة الضالع الأمير شعفل بن علي من كل العائدين من شمال الوطن ضمانات شخصية بعدم عودتهم إلى الشمال أو المشاركة في ثورة ٢٦ سبتمبر كما فرضت جباية الضرائب على الأسلحة التي عادوا بها بواقع خمسين قرشا على بندقية.

كان عدد العائدين كما تؤكد مصادر متطابقة مائة واحد عشر مقاتلا مزودين بأسلحتهم الخفيفة.

وكانت الإدارة البريطانية قد نصبت محمود حسـن نائبا لمشـيخة القطيبي لولائه ولما علمت السلطة البريطانية بعودة المجاميع العائدة من جبهات الدفاع عن الجمهورية إلى منطقة ردفان أمرت بتسـليمهم لاسلحتهم أو تعرضهم لدفع غرامة كبيرة، وهو ما جعل الثائر البطل لبوزة ورفاقة يلجأون إلى الجبال.

يقال أن بعض رفاقه كانوا يسـألونه عن بداية الكفاح المسـلح وهو الخيار الذي أيدته الجبهة القومية ورفضه حزب الشعب الاشتراكي.

وكان لبـوزة يرد عليهم: «علينـا أن ننتظر التعليمات فقد كان الإعداد للعودة إلى الجنوب وإعداد مناطق تموين قريبة تجري على قدم وساق.

وفي أوائل أكتوبر تسـلم المقاتل لبوزة رسالة إنذار من الضابط السياسي البريطاني مسـترميلان بهذا المضمون «عليكم عدم العودة إلى الشـمال حيث شـاركتهم في تأسـيس الجبهة القومية وأن عليكم وجماعتكم تسليم أسلحتكم «وإلاّ فستدفعون غرامات باهظة».

وعلى الفور اسـتدعى راجح لبـوزة رفاقه وأطلعهم على الخبر وطلب رأيهم، فكان الرد هو الاسـتنكار بالإجماع والرفض التـام وعلى ضوء هذا الاجماع كان رد القائـد البطل لبوزة التالي:»على القوات البريطانية لا تتحرك ثلاثة كيلو مترات من معسكر الحبيلين.. إنما جئنا بهذه الأسلحة لنطرد جيوش الاحتلال من بلادنا وكل من يختفي خلفهم.

وأضـاف إلى الـرد الكتابي طلقة نارية نوع شـرفاء وضعهـا في مظروف الرسـالة وحملها إلى الحبيلين المناضل قاسـم شـائف، ولسـاعتها حرض الرجال بالركون إلى الجبال والاستعداد للمعركة.

وفي الساعة الثالثة بعد ظهر ١٣ أكتوبر وصل النبأ إلى وادي «دبسان» بأن قوات بريطانية تحتوي على المدافع الثقيلة تتقدم باتجاه وادي المصراح بقيادة الضابط السياسـي المسترميلان ويصطحبها النائب محمود حسن، وأكد هذا النبـأ المقاتل أحمد مقبل والذي كان يقوم بعملية الاسـتطلاع بإشـارة تأكيد حينما قام باطلاق عدة طلقات في الهواء وعلى الفور فهمت الإشـارة فتحركت مجموعة من المقاتلين يتقدمهم لبوزة إلى جبل «البدوي» رأس وادي المصراح «حيد ردفان».

وفـي صباح يوم ١٣ أكتوبـر ١٩٦٣م تقدمت فرقة من جيش الاتحاد العربي المزين علـى قرية «الصرفة» وقبضت على أحـد العائدين ويدعى أحمد مقبل والذي سـبق ذكر أسـمه آنفا، ولما بلغ النبأ الشـهيد لبوزة بعث الرسل إلى الرجال واسـتحثهم على التجمـع في جبل «البدوي» بعـد أن تأكد بأن قوات الاتحاد المزيف في معسكر الحبيلين تعد العدة لغزو المنطقة.

وهكذا تجمع الرجال لليوم الفصل، وفي صباح الرابع عشر من أكتوبر تقدم جيش الاتحاد عبر وادي مصراح حيث شوهدت قواته وهي تزحف مع رتل من الدبابـات والمصفحات فاقترح بعـض المقاتلين أن تهبط إلى الوادي مجموعة مـن المقاتلين للمواجهة المباشـرة في الوادي قبل أن يتخـذ العدو له مواقع حصينـة ويبقى البطل لبوزة مع باقي المجموعة على رأس جبل البدوي قبل أن يهبطوا إلى الوادي لصد القوات المتقدمة حيث دارت معركة ضارية دامت أربع ساعات من الساعة عشرة ظهراً حتى الرابعة عصراً.

حيث بدأ الاشـتباك فـي نقطة من وادي مصراح تسـمى الحلـة ولم تكن المجموعة التي خاضت هذا الاشـتباك تنحصـر على جماعة من العائدين من الشمال بل شملت عدداً كبيراً من أبناء المنطقة أما جماعة الجبل فقد انقسمت إلى قسمين لحماية ظهر المقاومين.

وبهذا لم يجد العدو الزاحف فرصة للتقدم والركون إلى مواقع حصينة حيث وجد نفسه محاطا من ثلاث جبهات.

أسفرت المعركة عن تراجع القوات البريطانية المتقدمة بعد أن خسر العديد من الأرواح والمصابين.

ومع الانسـحاب جاءت إحـدى الدبابات من نوع صـلاح الدين حافة أحد الحقـول المرتفعة المواجهة لجبل البدوي واطلقت عدة قذائف على الجبل أدت إلى استشهاد البطل راجح غالب لبوزة متأثراً بثلاث شظايا ظلت جروحة تنزف حتى فارق الحياة.

وفي مساء ١٤ أكتوبر أعلنت الجبهة القومية بياناً لها عن معركة ردفان بأنها انطلاقة لثورة ١٤ التحرير وأن المناضل لبوزة أول شهيد على طريق الحرية.

المجد للثورة.. الخلود للشهداء الأبرار.. الوحدة لليمن.

● **المراجع: وثائق الثورة اليمنية «مركز البحوث الحزبية» عدن.**